الشيخ حافظ محمد إدريس وأسلوبه في تفسيره "كشّاف القرآن"

Al-Shaykh Ḥāfiẓ Muḥammad Idrīs and his methodology in his Tafsīr "Kashshāf Al Qur'ān"

الدكتور حافظ محمد بادشاه*

ABSTRACT

Pashtun Ulama have always been in the service of Islam. The origin of Pashtun people in Pakistan is the province of Khyber Pukhtunkhwa formerly known is North West Frontier Province (NWFP). Pashtun Ulama have served Islam on different fronts; some have done Jihad against the non-Muslims, some of them have offered their services in the field of Islamic education, ie, teaching in Madrassas, while some have served Islam via their writing commentary of Qur'ān, explanation of Ḥadīth and juristic problems. This article discusses the worthy contributions of one of the great commentators of Qur'ān Shaykh Ḥāfiẓ Muḥammad Idrīs, who belonged to Mardan in the Province of Khyber Pakhtunkhwa, He lived in the 19th century. The article encompasses a detailed biography of the writer and his worthy contribution in serving Qur'ān, Islam and Muslims focusing on his commentary on Qur'ān in Pashto language named as "Kashshāf Al Qur'ān". The method used for the research is descriptive and qualitative. The review literature showed that such an esteemed and vigorous scientist of different sciences of Qur'ān and his valuable contributions are out of the reach of scholars and libraries that may lead to an irreparable loss of the Islamic legacy. The study came up with the outcomes of his efforts in the field exegesis of Qur'ān, and the way and pattern he followed in interpreting different meanings of the revealed literature. The study would help out Islamic scholars and will enrich the domain of the Qur'ān's research with new thoughts and viewpoints.

Keywords: *Kashshāf Al Qur'ān, Shaykh Muḥammad Idrīs, Pashto Tafsīr, methodology.*

* الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد، باكستان

الحمد لله الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، القائل في محكم كتابه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾(١)، والصلاة والسلام على من أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

إن الله تعالى أرسل رسله الكرام إلى خلقه في كل زمان ومكان لهدايتهم وإرشادهم إلى طريق الحق والصراط المستقيم، وأنزل الكتب المقدسة فجعلها هدىً للناس وبيّنات من الهدى، وبيّن فيها الشرائع والأحكام، ومنها كتاب الله العظيم الذي أنزل على نبينا محمدﷺ، فإن القرآن منار الهداية للأمة الإسلامية في جميع جوانب الحياة، واصطفى الله تعالى أناساً من هذه الأمة لخدمة كتاب الله العزيز من حيث لفظه ومعناه ومفهومه ومنطوقه إلى غير ذلك، والله ألهمهم أن يفسروا كتابه بلغات مختلفة، فنجد أن العلماء قد ساهموا في خدمة القرآن الكريم بتفسيره باللغة البشتوية، منهم الشيخ حافظ محمد إدريس الطوروي رحمه الله الذي ساهم في خدمة القرآن حيث فسّره بلغته الأم البشتو، وسمّى تفسيره "كشّاف القرآن". وهذا البحث قد قسمته إلى مقدمة وثلاثة مباحث، وهي:

المبحث الأول: عناية البشتونيين بالدراسات القرآنية

المبحث الثاني: ترجمة حياة الشيخ محمد إدريس الطوروي رحمه الله

المبحث الثالث: التعريف بتفسير "كشّاف القرآن" ومنهجه وخصائصه

خاتمة البحث: وفيها نتائج البحث وتوصياته واقتراحاته

المبحث الأول: عناية البشتونيين بالدراسات القرآنية

ظهر دخول الإسلام في مناطق بختونخوا خلال القرن الأول الهجري، فقد أرسل عمر بن الخطابؓ الأحنف بن قيس إلى "خراسان" التي كانت تضم جزءاً كبيراً من أفغانستان الحالية عام ١٨ للهجرة، فدخلها وسيطر عليها بعد مقاومة شديدة من أهلها، ثم دخل عبد الرحمن بن سَمُرة فاتحاً بعض المناطق البشتونية في عهد عثمان بن عفانؓ (٢)، واستمرّت الفتوحات في مناطق بختونخوا في العهد الأموي، فأرسل معاوية بن أبي سفيان عبد الرحمن بن سمُرة واليًا على خُراسان.

وجاءت مجموعة من العلماء وفقهاء المسلمين وعلى رأسهم الحسن البصري رحمه الله لتعليم وترسيخ المبادئ الإسلامية لأهل هذه البلاد(٣).

---

(١) سورة الإسراء: ٩

(٢) بدر، فاروق حامد، تاريخ أفغانستان قبيل الفتح الإسلامي حتى الوقت الحاضر، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠، ص:٢٣

(٣) حبيبي، عبد الحي، تاريخ أفغانستان بعد از إسلام، مجمع البشتو، كابل، ١٣٤٢هـ، ص:١٦٠

يقول الأستاذ محمد نواز طائر[١]:

"إن الإسلام قد أثر في حياة البشتونيين إلى مدى بعيد، حتى تركوا كل ما كان عندهم من الدين والثقافة القديمة، بإتيان ﴿جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ ﴾[٢]"[٣].

وقد قام البشتونيون بدور كبير في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية، ولا يخفى على أحد جهود السلطان محمود الغزنوي رحمه الله[٤] في غزو بلاد الهند، وضمها لدولته، وما جعل من أهدافه نشر الإسلام فيها[٥].

ولما تشرفت القبائل البشتونية بالإسلام، بدءوا يتلقون العلوم الدينية والأحكام الشرعية، ويرحلون في طلب العلم إلى بلاد العرب وبلاد ما وراء النهر، ولما أسست مدرسة ديوبند في الهند[٦] صارت في نظر البشتون منبع العلم ومنتدى طلاب العلم، وتخرج فيها العلماء الكبار، ولقد ظهر في هذه البلاد عدد كبير من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والفلاسفة كالإمام أبي داوود[٧] من سجستان، ومحمد بن طيفور السجاوند الغزنوي[٨]، وغيرهم من العلماء[٩].

وأما الكتابة في مختلف العلوم الدينية والشرعية باللغة البشتوية فبدأت في القرن العاشر الهجري،

---

(١) الأستاذ الدكتور محمد نواز طائر من المحققين البشتون، ولد في عام ١٩٣٤ في بازيد خيل، والتحق بأكاديمية البشتو بجامعة بشاور، ثم أصبح عميدًا للأكاديمية في عام ١٩٧٩ حتى ١٩٩٥، ولبى نداء ربه في عام ٢٠١٧ (pashtoacademy.uop.edu.pk/showArticle.php?file=prof-nawaz-tayir.xml)

(٢) سورة الإسراء: ٨١

(٣) طائر، محمد نواز، روهي أدب، أكاديمية بشتو بشاور، ١٩٧٧، ص:٣٥-٣٧

(٤) محمود بن سبكتكين، ولد في ٢ نوفمبر ٩٧١م، وتوفي في ٣٠ إبريل ١٠٣٠م، المعروف باسم محمود الغزنوي هو حاكم الدولة الغزنوية في الفترة من عام ٩٩٨م إلى ١٠٣٠م في زمن الخلافة العباسية. انظر: عطية، علي حمد، السفارات في العصر الغزنوي، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، مجلة عملية الكترونية محكمة، العدد: ١، المجلد: ١، ٢٠١٣م، ص:١١١

(٥) لم يكن السلطان الغزنوي بشتوناً، إلا أن أكثر قواده وقضاته كانوا بشتونيين، انظر: صابري، محمد شفيع، تاريخ صوبه سرحد، يونيورستي بك ايجنسي، ص:٢٧١

(٦) أسست هذه المدرسة على يد الشيخ محمد بن قاسم النانوتوي (ت ١٢٩٧) في عام ١٢٧٣هـ

(٧) هو سليمان بن الأشعث الأزدي، السجستاني، مصنف السنن، توفي ٢٧٥هـ، انظر: العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن حجر، تقريب التهذيب، دار الرشيد، سوريا، ١٩٨٦، ٣٢١/١

(٨) هو محمد بن طيفور الغزنوي، أبو عبد الله السجاوندي، المفسر المقرىء النحوي، وله تفسير حسن باسم عين العاني في تفسير السبع المثاني، وكتاب علل القراءات، وكتاب الوقف والابتداء. ذكره القفطي مختصراً، وقال: كان في وسط المائة السادسة. وتوفي سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة. . انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، طبقات المفسرين العشرين، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ، ١٠١/١

(٩) تاريخ أفغانستان قبيل الفتح الإسلامي حتى الوقت الحاضر، ص:٤١

كتب بايزيد روشن المعروف بـ پير روشن[١] كتابه المشهور "خير البيان" الذي يشتمل على تفسير كثير من الآيات القرآنية، كما يشتمل على الأحكام الفقهية.

وكتب العالم الكبير أخوند درويزن[٢] "مخزن الإسلام"، ويشتمل هذا الكتاب –إضافة إلى موضوعات أخرى– على ترجمة قصيدة الأمالي لسراج الدين الأوشي الفرغاني[٣]، وترجمة قصيدة البردة لشرف الدين البوصيري[٤]، وترجمة العقائد النسفية لعمر النسفي[٥]، وترجمة خلاصة الكيداني للطف الله النسفي الكيداني[٦]، كما يشتمل على عدة كتب ورسائل أخرى في العقائد والتجويد وغيرهما[٧].

وألف أخوند قاسم الشينواري[٨] كتابه "فوائد الشريعة" باللغة البشتوية في النصف الثاني من القرن العاشر، بيّن فيه العقائد والأحكام الفقهية، والآداب الخلقية والاجتماعية[٩].

(١) هو بايزيد بن عبدالله بوركي الأنصاري، الشهير بـ (پير روشن) (٩٣١–٩٩٣م) ولد في مدينة جولوندر في بنجاب الهند، عاد مع أبيه صغيراً إلى مدينة أجداده إلى وزيرستان في باكستان حالياً، ومن أشهر كتبه خير البيان، صراط التوحيد، مقصور المؤمنين وغير ذلك. انظر: الدكتور نضير الخزرجي، أشرعة البيان: قراءة موضوعية في الموسوعة الحسينية، بيت العلم للنابهين، بيروت لبنان،٢٠١٢، ص:٤١٠

(٢) هو أخوند درويزن بن گدا بن سعدي من كبار علماء البشون، ومن أهم كتبه مخزن الإسلام، وهو يحتوي على المسائل الدينية، والرد على الطاعنين بالشريعة، توفي في سنة ١٠٤٨هـ، ودفن في بشاور. انظر: الكرباسي، الدكتور محمد صادق، المدخل إلى الشعر البشتوي، دائرة المعارف الحسينية، ص:٧٤

(٣) هو علي بن عثمان بن محمد بن سليمان، أبو محمد سراج الدين التيمي الأوشي، الفرغاني الحنفي، ناظم قصيدة بدأ الأمالي في العقائد، ومن مؤلفاته نصاب الأخبار لتذكرة الأخيار، والفتاوي السراجية. انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢، ٣١٠/٤

(٤) هو محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري (٦٠٨هـ – ٦٩٦هـ) شاعر صنهاجي اشتهر بمدائحه النبوية. أشهر أعماله البردية المسماة الكواكب الدرية في مدح خير البرية. انظر: محمد أبو الحسين، قصيدة البردة للبوصيري: دارسة أدبية، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور، باكستان، العدد: ٢٤، ٢٠١٧م، ص:٧٣

(٥) هو أبو حفص، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن لقمان الحنفي النسفي ثم السمرقندي، (١٠٦٨–١١٤٢م)، لقبه نجم الدين، وكان يلقب بمفتي الثقلين أيضاً، فقيه عالم في أصول العقيدة، ومن أشهر كتبه العقيدة النسفية. انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م، ١٢٦/٢٠

(٦) هو لطف الله النسفي الكيداني توفي في عام ٩٠٠هـ، ومن أشهر كتبه مطالب المصلي المعروف بخلاصة فقه الكيداني. انظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٥٦/٨

(٧) هيواد مل، زلمي، د بشتو نثر اته سوه كاله (ثمانمائة سنة لنثر البشتو)، ملت برنتر، لاهور، ١٩٩٦، ص:١٧٦–١٧٨. وانظر عارف نسيم، پشتو ميں دينى ادب، (الأدب الديني في البشتو)، أكاديمية بشتو، جامعة بشاور، ١٩٨٦، ص:١٣

(٨) هو الفاضل قاسم الشينواري من أهم علماء البشتون، ومن أهم كتبه فوائد الشريعة باللغة البشتوية في النصف الثاني من القرن العاشر، بيّن فيه العقائد والأحكام الفقهية، والآداب الخلقية والاجتماعية

(٩) د بشتو نثر اته سوه كاله، ص:١٩٢

وألّف الملا عبد الرشيد بن حسين[١] "رشيد البيان"، وهذا كتاب نافع منظوم في الفقه باللغة البشتوية، ولا تزال تُدرَّس هذا الكتاب للبنات في البيوت[٢].

فهذه بعض النماذج للجهد العلمي الديني الذي قدّمه العلماء البشتون، ثم تتابع الأمر من بداية القرن الثالث عشر وما بعده، فأُلِّفت مئات الكتب الدينية والفتاوىٰ الشرعية، ودوِّنت العلوم الشرعية بمختلف أنواعها بهذه اللغة، وأسّست مئات المدارس والمعاهد الدينية في القرن الرابع عشر، وخصّصت بعضها لتفسير القرآن الكريم وترجمته، مثل مدرسة العلوم الإسلامية شاه منصور، ومدرسة بنج بير في إقليم خيبر بختونخوا، وازداد الأمر حتىٰ لا توجد مدرسة من المدارس الدينية في مناطق بختونخوا إلا وتقام فيها دورة لتفسير القرآن في شهر شعبان ورمضان من كل سنة.

بداية كتابة التفسير باللغة البشتوية

تحديد الفترة الزمنية لبداية كتابة التفسير باللغة البشتوية صعب جداً، وذلك لأسباب، منها:

١. كانت اللغة الفارسية لغة علم وثقافة في هذه المناطق، وكان العلماء والمثقفون يعلمون اللغة الفارسية لأجل العلم والدين، فكلما أراد عالم أن يؤلِّف كتاباً فكتبه باللغة الفارسية.

٢. إذا نظرنا إلىٰ مناطق البشتون ومواقعها الجغرافيا عبر التاريخ، فوجدناها ميداناً للهجومات والحروب المستمرة من قبل الشعوب المختلفة، ونتيجة لهذه الحروب ضاع كثير من الآثار العلمية والدينية، كما يقول زلمي هيواد مل: "... ضاعت وحرقت آثار علمية وكتب دينية في أفغانستان في السنوات الأخيرة، حتىٰ حرّق وسرق ألفان وخمسمائة نسخة مخطوطة من مكتبة جامعة كابول، وسرق متحف كابول التاريخي، وضاعت المراكز والمكتبات الأخرىٰ في مدن مختلفة من أفغانستان بما فيها من تراث التفسير البشتوي أيضاً"[٣].

٣. هناك مجموعة من المخطوطات في التفسير في اللغة البشتوية قد عفت عليها يد الأمن وضاعت أوائلها مما لا نستطيع معرفة تاريخ تأليفها، كما لا نعرف مؤلفيها، ولكن آثار القدامة بادية عليها، في مكتبة أكاديمية البشتو بجامعة بشاور، والأراشيف الوطنية في أفغانستان، ومكتبات إقليم بلوشستان الباكستاني[٤].

فهذه بعض الأسباب الرئيسية في عدم إمكانية تحديد الفترة الزمنية التي دوّن فيها الأدب

---

(١) هو ملا عبد الرشيد بن حسين، من كبار العلماء في منطقة بشتون، وله كتاب صغير مشهور "رشيد البيان"، وهو مفيد في الفقه الإسلامي باللغة البشتوية. انظر: دبشتو نثر أته سوه كاله، ص:١٩٢

(٢) د بشتو نثر اته سوه كاله، ص:١٩٢

(٣) المرجع السابق، ص:١٣٠

(٤) روهي أدب، ص:٤٤٩

التفسيري باللغة البشتوية، ولكن نجد بعض النماذج للتفاسير باللغة البشتو، منها "خير البيان" لبايزيد روشن الأنصاري، فقد قام بتفسير آيات كثيرة من القرآن في موضوعات شتّى، كالطهارة، والصلاة، والحج، والزكاة، والكذب، والحلال والحرام وغيرها.

ثم بدأ التفسير بشكل مستقل في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، حيث أُلِّف في هذه الفترة تفسير باسم "عرفاني تفسير" ولم نعرف مؤلفه، ولكن الأستاذ المحقق حبيب الله رفيع نسبه إلى أفضل خان ختك(١) بناءاً على بعض شواهد النسخة المخطوطة التي يملكها الأستاذ حبيب الله رفيع.

ثم أُلِّف "تفسير أفضلية" في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، ونُسب هذا التفسير إلى أفضل الدولة أفضل خان، وقد وقع الاختلاف في مؤلفه، فلا نعرف على وجه الدقة، هل ألّفه أفضل خان بنفسه أم ألّفه الشيخ ركن الدين ونسبه إليه؟ أو لم يؤلفه أحدهما، بل ألّفه غيرهما. وهذا التفسير يقع في مجلد كبير، يشتمل على ألف وأربعمائة وأربع وتسعين صفحة، وله نسخة مخطوطة كاملة، وأخرى ناقصة في مكتبة أكاديمية البشتو في جامعة بشاور.

ثم تتابع الأمر في القرن الثالث عشر، وعني العلماء عناية فائقة، وألّفوا عشرات التفاسير البشتوية، كما ترجموها أيضاً من اللغات الأخرى إلى البشتوية(٢).

المبحث الثاني: ترجمة الشيخ محمد إدريس الطوروي

هو الشيخ الحافظ محمد إدريس الطوروي، ولد في إقليم سرحد في قرية طورو من مديرية مردان سنة ١٩١٥م، وينتمي إلى أسرة مشهورة بالعلم والمعرفة.

كان رحمه الله رجلاً ذا همة بالغة وعلى قدر كبير من التقوى والتواضع، وقد عرف تواضعه وتقواه من مقدمة تفسيره، حيث يقول: "أرجو ممن له إلمام بتفسير القرآن الكريم أن ينبهني على هفواتي فيه، وأني سوف أقبل توجيهات العلماء مع الشكر والتقدير وأرحب بها، وأعترف بأن فكري وعلمي ليس على مستوى المفسرين الكبار، وأتمنى أن أواصل هذا العمل الجليل بمساعدة ومعاونة العلماء والخبراء في علم التفسير إن شاء الله"(٣).

تعليمه:

لقد حفظ الشيخ القرآن الكريم حيث كان شاباً، وبدأ دراسته للعلوم الدينية، وكلما كان يزداد عمره يزداد حرصه وشغفه بالعلوم الشرعية، وقد سافر إلى الهند وتتلمذ على أيدي كبار المشايخ والعلماء،

---

(١) هو ابن أشرف خان ختك، حفيد الشاعر البشتوني المشهور بخوشحال خان ختك.

(٢) د بشتو نثر اته سوه كاله، ص:٣٢٦

(٣) الشيخ حافظ، محمد إدريس، كشّاف القرآن، يونيورستي بك ايجنسي بشاور، الطبعة الأولى،١٩٧٦، ١/ث

وبعد أن حصل على العلوم الدينية عاد إلى مسقط رأسه حاملاً شهادة التخرج من الشيخ أنور شاه الكشميري رحمه الله.

لقد سافر إلى الهند مرة ثانية لشغفه بالدراسة، وسكن في مدينة دهلي وحصل على شهادة مولوي فاضل، ونجح بالمرتبة الأولى من بين جميع الطلاب المشتركين في الامتحان سنة ١٩٣٤م، ثم شارك في امتحان الأدب والإنشاء ونجح نجاحاً فائقاً، ثم تعلّم اللغة الإنجليزية باستعانة القواميس فقط، وحصل على شهادة البكالوريوس فيها، ثم حصل على الماجستير في اللغة الفارسية عام ١٩٤٦م، والعربية من جامعة بنجاب ١٩٤٧م، وتخرج منها بمرتبة الشرف الأولى، ثم سجّل في ماجستير اللغة الإنجليزية واجتازه بنجاح فائق[1].

أعماله:

– بعد رجوعه من الهند بدأ بالتدريس في إحدى المدارس الدينية في منطقة (بالا مانري) بمدينة بشاور.

– عيّن أستاذًا في جامعة أمرتسر بالهند بعد حصوله على شهادة مولوي فاضل، وكان يدرّس طلاب الدراسات العليا.

– عيّن أستاذًا في الكلية الإسلامية بجامعة بشاور، ولكن رئيس الكلية فصّله عن وظيفته بسبب عدم حصوله على شهادة الماجستير في اللغة الإنجليزية، وبعد فصله من الوظيفة سجّل في الماجستير ونجح فيه وعاد إلى وظيفته.

– ثم عمل في وزارة الإعلام، وعيّن رئيس التحرير لمجلّة إطلاعات سرحد باللغة الأردية، واستمرّ في هذا العمل سنتين.

– ثم عيّن محاضراً للغة العربية بكلية أيبت آباد، ولم يلبث في أيبت آباد حتى انتقل إلى مدينته مردان.

– ثم عيّن محاضراً للغة العربية بكلية أكبر ميموريل كالج.

آثاره:

– كان الشيخ إدريس عالماً بالعلوم الشرعية والأدبية والثقافية، ويجيد اللغة العربية والفارسية والأردية والإنجليزية بالإضافة إلى لغته الأم اللغة البشتوية، وكان الشيخ رحمه الله يكتب باللغة الفارسية والأردية والبشتوية، ونشرت له مقالات كثيرة في المجلّات المختلفة، ومن أهم مؤلفاته

---

(١) الأفغاني، أحمد شاه فاضل، جهود العلماء البشتون في تفسير القرآن الكريم، (رسالة ماجستير في اللغة العربية غير منشورة)، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد – باكستان، ١٩٩٩م، ص:١٣٤–١٣٨

الدينية وغير الدينية هي:

- تفسير كشّاف القرآن باللغة البشتوية، وهو موضوع بحثنا.
- جمال الدين الأفغاني، باللغة الأردية، مطبوع.
- دراسة القرآن، باللغة الأردية، مطبوع.
- خطبات نبوي، باللغة الأردية، مطبوع.
- معجزات الرسولﷺ، باللغة الأردية، مطبوع[١].

وفاته:

توّفي الشيخ محمد إدريس رحمه الله أثناء سفره إلى مصر إثر سقوط طائرة الخطوط الباكستانية بالمطار القاهرة الدولية، وذلك في ٢٠ مايو ١٩٦٥م، وقد توفي معه جميع الرّكّاب عددهم ١٢١ شخصاً[٢].

المبحث الثالث: التعريف بتفسيره كشّاف القرآن ومنهجه وخصائصه

يقع تفسير كشّاف القرآن في مجلدين يبلغ عدد صفحاته ١٦٧٩ صفحة، وبدأ كتابة هذا العمل المبارك في سنة ١٩٥٩م، فطبع المجلد الأول الذي يحتوي الأجزاء الخمسة عشر الأولى في حياته عام ١٩٦١م، كما يقول كاتب المقدمة: "**ددے تفسير اوله حصه په كال سنه ١٩٦١ء كښې چاپ شوے ده**"[٣].

وأما الجزء الثاني فأكمل الشيخ كتابته وتصحيحه إلى سورة يس وفي هذا يقول كاتب المقدمة للجزء الثاني: "**ددے دويم جلد مسوده تر سورة يس پورے نه صرف صفا كړے وه بلكه د كتابت د مرحلونه هم وتلې وه۔ او د باقي مسودې د پاره هغوئ دا غوره كړه چه دځان سره ئے مصر ته يوسى**" [٤] وفي الوقت الذي أراد الشيخ أن يسافر إلى مصر وحمل معه مسودة المجلد الثاني كاملاً لكي يدقِّق النظر فيه مرة أخرى في ضوء المراجع والمصادر هناك، لكن الله قدّر أن وافته المنية قبل وصوله إلى مصر.

ومن حسن الحظ وعناية الله تعالى أن قدّر البقاء لهذا التفسير رغم سقوط الطائرة وموت جميع ركابها، وضياع أموالهم وأمتعتهم، حيث بقيت مسودة المجلد الثاني سالمة محفوظة، ووصلت بعد زمن مديد إلى أولياء الشيخ رحمه الله، وفي ذلك يقول كاتب المقدمة "**دا مسوده بالكل محفوظه پاتې شوه، او**

---

(١) الأستاذ، هميش خليل، بشتانه ليكوال، بشتو أدبي مركز، سرائي نور رنك، لكي مروت، ١٩٩٣، ١/٢٠١

(٢) مقدمة كشّاف القرآن، ٢/أ

(٣) نفس المرجع السابق

(٤) نفس المرجع السابق

ډيره موده پس مونږ ته په کوتو راغله"(١).

وقد تأخّر طبع الجزء الثاني لسبب مرض الكاتب مولانا خير محمد – الذي كتب إلى سورة يس–، فإنه كان مريضاً وما استطاع أن يكتب المسودة الباقية فأنكر في البداية، ولكن بعد إصرار وإلحاح الأقرباء بدأ بكتابتها، وكان يكتب في اليوم صفحة أو صفحتين أو أقل منهما، وبعد إكمال كتابتها طبع الجزء الثاني بعد خمسة عشر سنة من طباعة الجزء الأول وذلك في عام ١٩٧٦م، وقد طبعه يونيورستي بك ايجنسي خيبر بازار في يوليو ١٩٧٦م.

منهج الشيخ في تفسيره كشّاف القرآن

كتب حافظ محمد إدريس رحمه الله مقدمة طويلة تشتمل على ٢١ صفحة لتفسيره وبيّن فيه عدة أمور منها:

- تحدّث عن تاريخ القرآن الكريم بإيجاز، عن نزوله ونسخه، وأطوار كتابته وغير ذلك.
- تكلّم عن إعجاز القرآن وبلاغته وأسماءه.
- تكلّم عن آداب التلاوة، وبيّن علامات الوقف ومصطلحات الضبط مستفيدًا من الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي رحمه الله.
- تكلّم عن الترجمة بوجه عام وعن أهم الترجمات القرآنية البشتوية.

وقال الشيخ محمد إدريس رحمه الله في منهجه لتفسيره: "قرأت التراجم والتفاسير المختلفة قبل كتابة هذا التفسير، وجعلت ترجمة حكيم الأمة مولانا أشرف علي التهانوي(٢) نموذجاً لنفسي، وإضافة إلى هذه الترجمة استفدت كثيراً من تفسير الأستاذ أبي الأعلى المودودي أيضاً، وأستطيع أن أقول: إن روح هذين التفسيرين تجري في تفسيري هذا"(٣).

وقال الشيخ إدريس مبيّناً مسلكه في تفسيره: "حاولت في هذه الترجمة –أي التفسير والترجمة اللفظية معاً– أن:

١. أترجم القرآن الكريم إلى اللغة البشتوية بأسلوب سلس ليفهمه العام والخاص.
٢. أضع بعض الكلمات والعبارات الزائدة بين القوسين، عند الحاجة إلى مزيد من

(١) مقدمة كشّاف القرآن، ٢/أ

(٢) أشرف علي التهَانَوي (١٨٦٣ – ١٩٤٣م) هو عالم ديوبندي وفقيه حنفي، من أهل الهند، ومن أهم كتبه تفسير بيان القرآن الكريم. انظر: الندوي، محمد رحمة الله، أشرف علي التهانوي، سلسلة أعلام المسلمين ٩١، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٦، ص:٢١

(٣) كشّاف القرآن، ١/ث، نقلاً من بحث "جهود العلماء البشتون في تفسير القرآن الكريم" ص:١٤٠، بتصرف.

التوضيح في بعض المطالب.

٣. أفسّر بعض الكلمات بتفسيرات مختلفة في مواضع وسياقات مختلفة، لأن معاني هذه الكلمات تتغير من مكان إلى آخر، ومن غرض إلى آخر، وقد اتبعت في هذا المنهج شيخ الهند محمود الحسن الديوبندي[١]، والشيخ التهانوي، والشيخ المودودي.

فالحقيقة أن الشيخ محمد إدريس اتبع منهجه في تفسيره، ففسّر القرآن بالمأثور وبيّن أحكام الفقه والعقيدة، ورمى بسهمه في اللغويات من النحو والصرف، وتطرق إلى أبواب البلاغة، ونبّه على بعض الخرافات والعادات القبلية السيئة في البيئة البشتونية.

مقدمة السور:

يكتب الشيخ محمد إدريس رحمه الله تمهيداً وجيزاً في بداية كل سورة، ويبيّن فيه اسم السورة ومكان نزولها في مكة أو مدينة، وعدد آياتها وركوعها، ثم في أول حاشيتها يوضّح سبب تسميتها وسبب نزول السورة، وخلاصة مضمونها أحياناً، كما يكتب الشيخ في تمهيد سورة السجدة:

"سورة السجدة، په دے سورت کښ ديرش آيتونه او درے رکوع دی"[٢]

ترجمة: في هذه السورة ثلاثون آية وفيها ثلاث ركوعات.

وكما يقول في حاشيتها الأولى: "په دے سورت کښ د سجدے ذکر راغلے دے، او په دومره قدر مناسبت سره ئے السجدة نوم ايښے شوے دے" [٣]

ترجمة : في هذه السورة وردت ذكر بيان السجدة، فلأجل هذه سمّيت بالسجدة.

التفسير بالمأثور في كشّاف القرآن

إن حافظ محمد إدريس سلك طريق علماء أهل السنة في نقل الأحاديث والآثار في تفسيره، ولكنه لا يهتم بسند الحديث ونصه بالعربية إلا قليلاً، بل يذكر ترجمته باللغة البشتوية، ولعل ما حمله على ذلك حرصه الشديد على اختصار تفسيره، لكنه يحيل على المصدر الذي أخذ منه الحديث بذكر اسمه فقط، فمثلاً يورد حديثاً في تفسير الآية : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤]، فيقول الشيخ:

---

(١) هو شيخ الهند مولانا محمود الحسن الديوبندي (١٨٥١ - ١٩٢٠م) وهو من كبار العلماء في الهند

(٢) كشّاف القرآن، ١٠٩٨/٢

(٣) نفس المرجع

(٤) سورة فاطر: ١

"تر دې چه نبي ﷺ فرمائيلی دی چه ما يو ځل حضر ت جبريل عليه السلام اوليد چه په ټوله فضا باندِ را خور شوے وه او شپږ سوه وزرے ئے وے" (١).

ترجمة: بيّن الشيخ هذا الحديث بلغته: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ»(٢).

وهكذا ينّبه على صحة الحديث، علماً بأنه التزم بأن لا يورد الأحاديث الضعيفة والروايات الغريبة، وأحيانا يقوم بالرّد على الروايات الضعيفة أيضًا.

وكذلك اهتمّ بتفسير الآيات القرآنية في ضوء ما أثر عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، ولا سيما أئمة التفسير والفقه منهم، فيذكر آثارهم مترجمة إلى البشتوية.

ويورد كذلك الآثار في التفسير بدون أن يذكر سندها، ولا يهتم بنص العربي للأثر، بل يذكره مترجمة بلغته فقط، فمثلاً أورد قول مجاهد في تفسير آية ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾(٣) "حضرت مجاہد رحمه الله وائی چه چا سره چه مال وی ...الخ"(٤).

ترجمة: يقول مجاهد رحمه الله إذا كان لأحدكم أموال فليتصدق ولا يتأول في هذه الآية ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾، لأن الرزق مقسوم في الدنيا. واستنتج الشيخ من هذا القول إن المراد بـ ﴿يُخْلِفُهُ﴾ فهو أجر الآخرة.

بيان أسباب النزول:

وقد يذكر الآثار في بيان أسباب النزول، ولعل سبب قلة ذكره أنه يتجنّب ذكر الروايات الضعيفة، أما إذا كان سبب النزول ورد في الصحيح من كتب الحديث فلا يرى بأسا بذكره. كما يبيّن سبب نزول هذه الآية :﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٥) فيذكر الشيخ حديث ابن مسعود رضي الله عنه:

"حضرت ابن مسعود رضي الله عنه وائي چه ځه د كعبے شريفے په غلاف كښ پټ وُم چه يو قريشی او دوه ثقفيان راغلل...الخ"(٦)

والحديث الذي ذكر الشيخ في سبب نزول هذه الآية هو قول ابن مسعود رضي الله عنه: "قَالَ اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ أَوْ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ كَثِيرَةٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ قَلِيلَةٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ فَقَالَ أَحَدُهُمْ

(١) كشّاف القرآن، ١١٦٥/٢

(٢) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، باب في سدرة المنتهى، رقم الحديث/١٧٤، المحقّق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩، ١٥٧/١

(٣) سورة سبأ: ٣٩

(٤) كشّاف القرآن، ١١٥٩/٢

(٥) سورة فصلت: ٢٢

(٦) كشّاف القرآن، ١٢٩٦/٢

أَتَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ قَالَ الْآخَرُ يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا وَقَالَ الْآخَرُ إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾"(١).

النزعة الفقهية في تفسير "كشّاف القرآن"

يذكر الشيخ محمد إدريس في تفسيره الأحكام الفقهية عند تفسيره لآيات الأحكام ويبرز موقفه من مذاهب أهل العلم، وخاصة يوضّح المسائل الغريبة عن أذهان الناس، وحاول أن يوجِّهَهُم توجيها صحيحاً، وتصدّى لبعض المسائل والأحكام المعاصرة التي اختلف العلماء في حكمها.

فمثلاً يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(٢)، يبيّن الشيخ الحكم الشرعي ويقول:"پاتې شه شرعي جواز، نو كه د يو پاك سړى نكاح د يوې پليتې ښځې سره اوشى، يا يوه پاكه ښځه په يو پليت سړي پورې اوتړلې شي ... الخ"(٣).

ترجمة: إنه يجوز ويصّح شرعاً لو عقد الرجل الصالح بالمرأة الخبيثة، أو تزوجت المرأة الصالحة رجلاً خبيثاً، فنكاحهما صحيح من حيث الشرع، إلا أنه يؤدّي إلى سوء العشرة بينهما.

النزعة اللغوية في تفسير "كشّاف القرآن":

إن الشيخ محمد إدريس أديب وبليغ ولغوي وحصل على ماجستير في اللغة العربية وآدابها، وله شغف باللغة العربية وعلومها كالنحو والصرف والبلاغة، وهذا واضح من تفسيره حيث يوضّح هذه العلوم في تفسيره، وقد أكدّ في مقدمته أهمية اللغة العربية وعلومها ودورها في فهم القرآن كما عاب على من يفسّر القرآن ولا يعرف اللغة العربية(٤).

ولذا اهتمّ الشيخ بتوضيح مفردات القرآن بتحليلها لغوياً ونحوياً وصرفياً، وخاصة في الألفاظ الغريبة الواردة في القرآن، وهكذا وقف الشيخ عند بعض النصوص القرآنية وقفات بلاغية فأشار فيها على الاعتراض، والإضراب والمشاكلة، وما إلى ذلك. معتمداً فيه على تفسير الكشّاف للزمخشري ومدارك التنزيل للإمام النسفي، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبدالله الجعفي، الجامع الصحيح، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ﴾، رقم الحديث: ٧٥٢١، المحقق محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢، ١٢٢/٩

(٢) سورة النور: ٢٦

(٣) كشّاف القرآن، ٩٢٣/٢

(٤) نفس المرجع السابق، ١/م

فمثلاً يوضّح الشيخ إدريس رحمه الله معاني بعض الكلمات ضمن تفسير هذه الآية : ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ (١)، فيقول: ﴿عَدْنٍ﴾ : **"استوګنې ته وئيلے شي يعنى داسے باغونه چه د همشه استوګنې ځايو نه وی ... الخ"(٢).**

ترجمة: معنى ﴿عَدْنٍ﴾ مكان العيش والسكنى، يعني الجنات التي هي مواضع السكون والعيش دائماً، وأما معنى ﴿مَأْتِيًّا﴾ مفعول بمعنى الفاعل أي هو آتي.

ومن أمثلة النحو في تفسير كشّاف القرآن فنجد الشيخ رحمه الله يشير إلى الجملة الإسمية ومعناها في ضمن تفسير هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٣)، يقول الشيخ رحمه الله: **"په دے جملو كښ وړومبئ جمله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ جمله اسميه ده چه په ثبوت او استقرار باندے دلالت كوی او نورے جملے فعليے دی چه په حدوث او تكرار باندے دلالت كوی"(٤).**

ترجمة: الجملة الأولى من بين هذه الجمل ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ جملة اسمية، التي تدلّ على الثبوت والاستقرار، وأما الجمل الأخرى في هذه الآية فهي فعلية، التي تدل على الحدوث والتكرار(٥).

النزعة العقدية في تفسير "كشّاف القرآن"

نجد الشيخ محمد إدريس يهتمّ بآيات العقيدة اهتماما بالغاً، بل الجانب العقدي من أبرز ما يميّز به هذا التفسير، فهو في مجال العقيدة يطنب على غير عادته في الاختصار، فقد تكلم عن صفات الله تعالى، فإنه قد تعرّض إلى الصفات التي ظاهرها التشبيه، فاختار مذهب التأويل من بين مذاهب أهل السنة الثلاثة، وهي: التفويض المطلق، أو التأويل المناسب، أو حمل النصوص على ظاهر معناها وتفويض الكيفية إلى الله.

فنرى الشيخ يصف الله تعالى في تفسير هذه الآية: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٦) بقوله: **"خدائ پاك دومره لوئ**

(١) سورة مريم: ٦١
(٢) كشّاف القرآن، ٧٩٥/٢
(٣) سورة لقمان: ٣٤
(٤) كشّاف القرآن، ١٠٩٩/٢
(٥) جهود العلماء البشتون في تفسير القرآن الكريم، ص:١٥٨
(٦) سورة الزمر: ٦٧.

قدير دے چه د قيامت ورځ ټوله مزکه به د هغه په قدرت کښ وی ..."[١].

ترجمة: إن الله هو القدير الكبير الذي تكوّن الأرض في قدرته يوم القيامة ويكون محيطًا بقدرته على السموات جميعاً، ولا تساوي قدرة أحد يوم القيامة جناح بعوضة، واستعمل هنا لفظي (قبضة) و (يمين) على طريقة الاستعارة وخوطبنا بلغتنا ولساننا، فإنه ليس لله يد أي الجارحة – ولا قبضة– أي حسية، ولا جسم ولا جهة، وهو منزّه متعال عن الجسم وكيفياته[٢].

ومن أهم القضايا العقدية التي تحدث فيها الشيخ محمد إدريس رحمه الله هي قضية زيادة الإيمان ونقصانه، فكان رحمه الله يرى كغيره من الأحناف أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لأنه عرض والعرض لا يوصف بالزيادة والنقص. فيقول الشيخ إدريس رحمه الله في تفسير هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٣] فيفسر ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾ **"يعنی د مسلمانانو ايمان خو هسے هم پوخ وُو خو اوس هغوئ په خپلو سترگو د خدائے پاك فضل اوليد. او په خپلو زړونو کښ ئے د سکون رنړا محسوسه کړه... مشهوره دا ده چه حضرت امام ابو حنيفه رحمه الله په ايمان کښ کمے زياتے نه مني. او په دے کښ شك نشته چه نفسِ ايمان د تقسيم قابل څيز نه دے...الخ"[٤].**

ترجمة: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾ أي أن المسلمين كانوا أقوياء الإيمان، ولكنهم رأوا فضل الله وعونه بأعينهم، وأحسّوا بطمأنينة وسكينة في قلوبهم، فازداد نور قلوبهم، وقوي إيمانهم أكثر مما كانوا عليه، واشتهر عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ولا شك أن الإيمان نفسه لا يقبل التقسيم، ولا يصح القول بتصنيف مسلم ولا تربيعه، وإنما يتصف الإنسان إما بالإيمان الخالص أو الكفر المحض، ولكن حينما يوقد مصباح الإيمان في القلب، فيمكن اتصاف ضوئه بالزيادة والنقص في كل حين، أما الإيمان نفسه فلا يوصف بالزيادة والنقص، والمراد بالزيادة في هذه الآية زيادة أوصافه[٥].

موقف الشيخ محمد إدريس رحمه الله من الإسرائيليات:

إن الشيخ محمد إدريس قد التزم بأن لا يورد في تفسيره الإسرائيليات والأخبار المكذوبة والقصص الضعيفة، بل قام بالنقد الشديد عليها، كما نجده في تفسير هذه الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن

---

(١) كشّاف القرآن، ١٢٦١/٢

(٢) جهود العلماء البشتون في تفسير القرآن الكريم، ص:١٤٩

(٣) سورة الفتح: ٤

(٤) كشّاف القرآن، ١٣٨٩/٢

(٥) جهود علماء البشتون في تفسير القرآن الكريم، ص:١٥٤، بتصرف

رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١]، حيث يقول الشيخ رحمه الله: "ددے آيت په تفسير پورے څنې خلقو يوه قصئ ترلے ده، چه يو ځل نبي ﷺ سوره والنجم لوستلو نو څه وخت چه ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ ئے اولوست نو شيطان ورسره دا فقرے يو ځائ کړے۔ چه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، هغوئ وائي چه تر ډير ورځو پورے دغه فقرے هم لکه د قرآن مجيد غونډ لوستے شوے او په قرآن کښ شاملے کړلے شوے، او دلته دغ واقعے ته اشاره شوے ده، حقيقت دادے چه دا قصه چا زنديق مشهوره کړے ده او د اسلام په سپين مخ باندِ ئې د خاورو ارتاؤ کؤلو کوشش کړے دے۔ امام اسحاق رحمه الله ددے قصئ په ترديد روغ کتاب ليکلے دے ... الخ"[٢].

ترجمة: قد أورد بعض الناس في تفسير هذه الآية قصصاً غريبة وحكايات عجيبة، وهو أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم، فلما قرأ هذه الآية: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾[٣] ألقى الشيطان هذه الفقرة في قراءته "تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى"، ويقولون إنها كانت مقروءة مثل القرآن، وأدخلت في القرآن، ثم أبعدت عنه بعد مدة، فالإشارة في هذه الآية إلى تلك القصة... لكن الحقيقة خلاف ذلك، وهي أن القصة أدخلها إلى التفسير وأشهرها زنديق من الزنادقة، وحاول أن يشوّه صورة الإسلام النقية ويلقي التراب على وجهه المقدس، وقد كتب الإمام ابن اسحاق كتابا في ردّ هذه الأسطورة، كما ردّها جماعة من المحققين كإمام الرازي،وابن كثير، والقاضي البيضاوي وعدّوها كذباً محضاً وافتراءاً، وأن الآية واضحة وبيّنة من غير تفسيرها بهذه القصة الخرافية، وهو أن الشياطين يلقون الشكوك في صدور الناس، ولكن تزال هذه الشكوك في آخر الأمر، وتبقى تعاليم الإسلام نقيّة وثابتة في مكانها..."[٤].

وأخيرًا أقول: إن الشيخ إدريس رحمه الله ناقش في تفسيره قضايا كثيرة، منها ما يتعلق بخلق الإنسان وأطواره المختلفة، ومنها ما يتعلق بالكون، وما فيه من السماوات والأرض والنجوم والشمس، ويستقي معلوماته من تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى رحمه الله، وقد يورد الشيخ ضمن تفسيره العلمي أقوال بعض علماء الغرب والشرق الذين بدت لهم نتيجة دراساتهم وتحقيقاتهم العلمية حقيقة القرآن وصدق الإسلام، كما يوضّح بعض الأمور الكونية بمقاييس دقيقة، وموازين منضبطة[٥].

(١) سورة الحج: ٥٢
(٢) كشّاف القرآن، ٨٨٢/٢
(٣) سورة النجم: ١٩-٢٠
(٤) جهود العلماء البشتون في تفسير القرآن الكريم، ص:١٤٥
(٥) تفسير الكشّاف، ١٤٤٠/٢

إن الشيخ إدريس لم يكن عالماً في العلوم الدينية فقط، بل كان عالماً في تاريخ الأمم وحضاراتهم وسياساتهم وعاداتهم من العرب واليونان والفرس وغيرها، فنراه في تفسيره يبيّن حالات العرب واليهود والنصارىٰ والمشركين ثم يقارنها بأحوال المسلمين اليوم ويقوم بالرّد علىٰ إتباع عادات الجاهلية، والحضارات الغربية المعاصرة ويوجّه المسلمين توجيهاً سليماً في ضوء القرآن والسنة.

مصادر تفسير "كشّاف القرآن":

بعد هذه الدراسة الموجزة لتفسير كشّاف القرآن وصلت إلىٰ أن تفسير كشّاف القرآن لحافظ إدريس رحمه الله تفسير ذو لون جديد بين التفاسير البشتوية الأخرىٰ، وهذه الألوان الجديدة في تفسير كشّاف القرآن تتمثل في المصادر التي استقىٰ منها تلك العلوم والمباحث والمسائل.

فقد استفاد كغيره من مفسري أهل السنة والجماعة من عيون التفاسير العربية، كتفسير الجلالين[١]، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي[٢]، وتفسير القيم للإمام ابن القيم الجوزية[٣]، وتفسير ابن كثير[٤]، وتفسير البغوي[٥]، وتفسير روح المعاني[٦]، وتفسير البيضاوي[٧]، ومفاتيح الغيب

---

(١) تفسير الجلالين هو تفسير للقرآن، من تأليف جلال الدين المحلّي، وجلال الدين السيوطي. ألّف القسم الأول منه جلال الدين المحلي حيث بدأ بالتفسير من سورة الكهف حتىٰ سورة الناس إضافة إلىٰ سورة الفاتحة، وتوّفي المحلّي سنة ٨٦٤ هـ قبل أن يكمل باقي التفسير، فأتمه بعد وفاته السيوطي، فابتدأ بتفسير سورة البقرة حتىٰ آخر سورة الإسراء، ومن هنا جاء اسمه تفسير الجلالين.

(٢) إن تفسير البحر المحيط أحد كتب تفسير القران الكريم، ألّفه أبو حيّان الغرناطي، يُعدّ الكتاب المرجع الأهم لمن أراد الوقوف علىٰ وجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم ودقائق مسائله النحوية، فابن حيّان يتكلّم في كتابه علىٰ المعاني اللغوية للمفردات ذاكرًا أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ.

(٣) التفسير القيم أو التفسير القيم للامام ابن القيم أو تفسير القرآن الكريم، أحد كتب تفسير القران الكريم، ألّفه الحافظ ابن القيم. وهو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي الحنبلي المعروف بابن القيم الجوزية.

(٤) هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القرشي البصروي، ثم الدمشقي، مُحدّث ومفسّر وفقيه، ولد في دمشق ٧٠١هـ، وتوّفي في عام ٧٧٤هـ، ومن أهم كتبه تفسير قرآن العظيم، البداية والنهاية.

(٥) هو الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفداء البغوي ركن الدين الملقّب بمحيي السنة، ولد في عام ٤٣٣هـ وتوّفي في عام ٥١٠ هـ، ويعدّ البغوي إماماً من أئمة أهل السنة والجماعة ورجلاً من رجالات الحق والهدىٰ، ومن أهم كتبه تفسير معالم التنزيل.

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، مفسّر، ومحدث، وفقيه، وأديب، وشاعر، (١٢١٧–١٧٢٠ هـ).

(٧) تفسير البيضاوي هو الاسم الشائع للتفسير المسمّىٰ بـ «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» قام بتأليفه الإمام شيخ الإسلام قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ).

للإمام الرازي[١]، وتفسير الكشّاف للزمخشري[٢]، وغيرها من التفاسير.

وأما المصادر من كتب الحديث فأهمها كتب الحديث الستة، ومسند الإمام أحمد، وسنن البيهقي، وسنن ابن أبي شيبة[٣] وغيرها.

وأما المصادر التفسيرية المعاصرة التي أثرت في منهج الشيخ فهي:

تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي رحمه الله[٤] ، وتفسير تفهيم القرآن لأبي الأعلى المودودي رحمه الله، وتفسير بيان القرآن لحكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله، وتفسير الجواهر في تفسير القرآن الكريم للشيخ علي طنطاوي جوهري رحمه الله[٥]، وتفسير موضح القرآن للشيخ الشاه عبد القادر الدهلوي رحمه الله[٦]، وتفسير العزيزي للشيخ الشاه عبدالعزيز الدهلوي رحمه الله[٧]، وفوائد تفسيرية للشيخ شبير أحمد العثماني رحمه الله[٨]، وتفسير المراغي من أهم التفاسير التي استفاد منها الشيخ، خاصة في التفسيرات العلمية وبيان الأمور الاجتماعية، وإضافة إلى هذا استفاد الشيخ من كتب أهل الأديان الأخرى مثل التوراة والإنجيل

---

(١) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب هو كتاب تفسير للقرآن من تأليف شيخ الإسلام فخر الدين الرازي (٥٤٤هـ – ٦٠٦هـ)، الطبرستاني المولد، القرشي التيمي البكري الأصل، الشافعي الأشعري الملقب بفخر الدين الرازي.

(٢) كتاب تفسير الكشّاف أو تفسير الزمخشري، مؤلفه الزَّمَخْشَرِيُّ، كبير المعتزلة وهو جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، الزمخشري الخوارزمي النحوي، ولد في زَمَخْشَر يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٤٦٧ هـ /١٠٧٤ م، وتوّفي ليلة عرفة سنة ٥٣٨ هـ /١١٤٣ م في جرجانية خوارزم. (سير أعلام النبلاء للذهبي، ١٥١/٢٠

(٣) هو عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خُوَاسْتِي العبسي مولاهم الكوفي، والمكنّى بأبي بكر، والملقّب بـ "سيد الحفاظ"، أحد علماء ورواة الحديث عند أهل السنة والجماعة.

(٤) تفسير المراغي أحد كتب تفسير القرآن الكريم المعاصرة، ألّفه العالم الأزهري أحمد مصطفى المراغي، هو أحمد بن مصطفى المراغي مفسّر مصري، من العلماء، من مركز المراغة، محافظة سوهاج بصعيد مصر، توّفي في عام ١٩٥٢م. انظر: المراغي، أحمد مصطفى، شركة ومطبعة مصفى البابي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٩٤٦م، ٤/١–٥

(٥) حكيم الإسلام الشيخ "طنطاوي جوهري" (١٨٧٠ – ١٩٤٠م) العالم الفيلسوف صاحب الجواهر في تفسير القرآن الكريم، من العلماء الموسوعيين الذين جمعوا بين علوم كثيرة يبدو بعضها متناقضا، فكان من علماء الأزهر، وصاحب منهج تفسيري في كتابه الجواهر حول العلاقة بين آيات القرآن والعلم. انظر: الأستاذ رجاء نقاش، تفسير القرآن وأضواء جديدة على عالم كبير مجهول، مجلة المصور، دار الهلال، مصر، ع/٢٥١١، سنة ١٩٧٢.

(٦) أحمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بمسند الهند أبي محمد الشاه ولي الله الدهلوي، (١١١٤هـ /١١٧٦هـ) مجدد وعالم دين هندي. انظر: السيالكوتي، محمد بشير، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٩٩٩.

(٧) عبد العزيز الدهلوي (١٧٤٦ – ١٨٢٣م) هو عالم وشاعر مسلم، من أهل الهند، من آثاره التحفة الإثني عشرية، بستان المحدثين، ميزان البلاغة، ميزان الكلام، وفتح العزيز. انظر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين. مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠١٢.

(٨) شبير أحمد العثماني هو عالم مسلم، من أهل الهند، تولّى منصب عضو بارز في حركة الخلافة عام ١٩١٤م. انتقل عام ١٩٤٧م إلى باكستان. توفي في١٩٤٩م بمديرية بهاول بور بباكستان ودفن بكراتشي. انظر: زيتون بيغم شمس الدين، حياة شبير أحمد العثماني ونقد كتابه فتح الملهم، رسالة الدكتوراه، جامعة بنجاب، دون تاريخ.

في بيان تاريخ تلك الأمم الخالية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وأماكنها.

أهم خصائص تفسير "كشّاف القرآن":

يتميز تفسير "كشّاف القرآن" بميزات كثيرة، أهمها ما يلي:

١. سلاسة اللغة: إن الشيخ محمد إدريس رحمه الله أديب بارع، وعالم بالجوانب اللغوية المختلفة، وفي لغات شتى كالعربية والفارسية والأردية والإنجليزية، وأما البشتوية فهي لغتها الأم، فله إلمام باللغات وعلومها، ولذا نجد تفسيره في أسلوب نثري سلس، تعلوه الحلاوة الأدبية، ولهجة مفهومة لدى جميع البشتونيين، فاستطاع تقريب معانيه إلى أذهان جميع القرّاء من أهل هذه اللغة.

٢. المعلومات التاريخية والجغرافية: فإنه قد اهتم اهتماماً بالغاً بدراسة الأمم الماضية ومواقعهم الجغرافية وغيرها من الأمور، التي استطاع بسببها بيان بعض المبهمات التاريخية والجغرافية التي وردت في القرآن الكريم.

٣. العلوم الطبيعية والاجتماعية: إن الشيخ محمد إدريس رحمه الله أول مفسّر بشتوي تعرّض من خلال تفسيره للقرآن الكريم إلى نظريات العلوم الطبيعية والفلسفات المعاصرة نحو الكون والإنسان، وأربطها بالقرآن الكريم محاولة تأصيل معارف العصر الجديد بالقرآن.

٤. بيان أحكام العقيدة على طريقة أهل السنة والجماعة: فإن الشيخ محمد إدريس رحمه الله قدّم صورة صحيحة لعقيدة أهل السنة والجماعة، وبيّن أهم الجوانب العقدية في تفسيره كشّاف القرآن.

خاتمة البحث:

وفي ختام هذا البحث أقول: إن الشيخ محمد إدريس رحمه الله له مكانة مرموقة في إقليمه، وتفسيره "كشّاف القرآن" من أهم التفاسير في اللغة البشتوية، وكان تفسيره تدرس إقليم خيبر بختونخوا وخاصة النساء يدرسن في البيوت، ومن أهم النتائج التي استنتجت من هذا البحث وهي كالتالي:

١. حمل الشعب الأفغاني رأية الإسلام والعلم الديني إلى الهند في القرن الرابع الهجري، وانتشر الإسلام على أساس جهودهم، ثم ازدهر فيها، وبقيت مناطق البشتونية الأصلية بعيدة عن مراكز العلم والثقافة، لذلك كان تأثر أهل هذه المناطق بالثقافات الهندية إلى مدى بعيد، فرحل إليهم كل غث وسمين.

٢. إن الشيخ محمد إدريس رحمه الله أديب بارع، وعالم بالجوانب اللغوية المختلفة، وفي لغات شتّى كالعربية والفارسية والأردية والإنجليزية وأما البشتوية فهي لغتها الأم، فإنه عالم ملم باللغات وعلومها.

١. إن الشيخ محمد إدريس ألّف تفسيره في مجلدين كبيرين، وطبع الجزء الأول في حياته، والجزء الثاني طبع بعد طباعة الجزء الأول بخمسة عشر سنة، والشيخ محمد إدريس اهتم بلغة التفسير فكان لغة التفسير سهلة وسلسة، تعلوه الحلاوة الأدبية، ولهجة مفهومة لدى جميع البشتونيين.

٢. إن الشيخ محمد إدريس رحمه الله أول مفسّر بشتوي تعرّض من خلال تفسيره للقرآن الكريم إلى نظريات العلوم الطبيعية والفلسفات المعاصرة نحو الكون والإنسان، وأربطها بالقرآن الكريم محاولة تأصيل معارف العصر الجديد بالقرآن.

٣. إن الشيخ محمد إدريس استفاد من المصادر التفسيرية القديمة والمعاصرة، ومن أهمها تفسير الجلالين، والبحر المحيط وغير ذلك من المصادر والتفاسير المهمة.

٤. ومن خصائص "كشّاف القرآن" سلاسة اللغة، والمعلومات التاريخية والجغرافيا، واستفادته من العلوم الطبيعية والاجتماعية، وبيان أحكام العقيدة على طريقة أهل السنة والجماعة.

ومن الاقتراحات لهذا البحث الموجز ما يلي:

١. أقترح أن يطبع التفاسير القديمة بعد التحقيق العلمي، ويمكن للباحثين في الدراسات العليا أن يختاروا مثل هذه التفاسير كموضوعات لرسائلهم وأطروحاتهم.

٢. إعداد المناهج للدراسات الإسلامية في الجامعة خيبر بختونخوا وبلوشستان واختيار مختارات من تفاسير القرآن الكريم في هذه المنقطة.

٣. تأسيس مراكز خاصة يشرف عليها علماء ومفكّرون لمتابعة التحقيق في مجال التفسير والحديث الشريف.

